

الامامة والسياسة

[130] أيها الناس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم، ما عزت دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم، كلامكم يوهى الصم (1)، وفعلكم يطمع فيكم عدوكم، إذا أمرتكم بالمسير قلتكم كيت وكيت، أعاليل (2) بأضاليل، هيهات، لا يدرك الحق إلا بالجد والصبر، أي دار بعد داركم تمنعون ؟ ومع أي إمام بعدي تقاتلون ؟ المغرور والـ من غررتموه، ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيـب (3)، أصبحت لا أطمع في نصرتكم، ولا أصدق قولكم، فرق الـ بيني وبينكم، وأعقبني بكم من هو خير لي، وأعقبكم بعدي من هو شر لكم مني، أما إنكم ستلقون بعدي ذلا شاملا. وسيفا قاتلا. وأثرة يتخذها الطالمون بعدي عليكم سنة. تفرق جماعتكم. وتبكي عيونكم. وتدخل الفقر بيوتكم. تمنون والـ عندها أن لو رأيتموني ونصرتموني. وستعرفون ما أقول لكم عما قليل. استنفرتكم فلم تنفروا. ونصحت لكم فلم تقبلوا، وأسمعتكم فلم تعوا، فأنتم شهود كأغياب، وصم ذوو أسماع، أتلو عليكم الحكمة، وأعظكم بالموعظة النافعة، وأحثكم على جهاد المحليـن (4)، الظلمة الباغيـن، فما آتى على آخر قولي حتى أراكم متفرقين، إذا تركتكم عدتم إلى مجالسكم حلـقا عزيـن (5)، تضربون الامثال، وتناشدون الاشعار، تربت أيديكم، وقد نسيتم الحرب واستعدادها، وأصبحت قلوبكم فارغة عن ذكرها، وشغلتموها بالباطيل والاضاليل، ويحكم ! اغزوا عدوكم قبل أن يغزوكم، فوالـ ما غزى قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا، وايم الـ ما أظنكم تفعلون حتي يفعل بكم ! وايم الـ لوددت أني قد رأيتهـم فلقيت الـ على نيتي وبصيرتي، فاسترحت من مقاساتكم ومداراتكم، ويحكم ! ما أنتم إلا كإبل جامحة ضل عنها رعاؤها (6)، فكلما ضمت من جانب، انتشرت من جانب، والـ لكأنني أنظر إليكم وقد حمى الوطيس، لقد انفرجتم عن علي انفراج الرأس، وانفراج المرأة عن قبلها. فقام إليه الاشعث بن قيس الكندي، فقال: يا أمير المؤمنين فهلا فعلت كما فعل عثمان ؟

(1) الصم: جمع أصم: والمراد الجبال الصم وهي الشديدة الصلابة، ويوهى يضعف. (2) أعاليل: تعللات، بأضاليل، بأسباب زائفة ضالة. (3) السهم الاخيـب. أي السهم الذي لا يصيب مرماءه. (4) المحليـن: الذين أحلوا أنفسهم من بيعة الامام علي بعد أن وجب عليهم ولزمتهم. (5) عزيـن: جمع عزة وهي الجماعة والفرقة، والحلق جمع حلقة وهي الجماعة المستديرة كالحلقة. (6) رعاؤها: جمع راع: أي رعاتها. (*)